



الإنشاد

مَجَالُ خِصْبٍ لِلْمَعْرِفَةِ وَالتَّذْوِيقِ الْجَمَالِيِّ وَالْإِبْدَاعِ

النَّشِيدُ لَوْ أَنَّ مِنْ أَلْوَانِ الْأَدَبِ الَّذِي يُصَوِّرُ جَانِبًا مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ فِي صُورَةٍ مُحِبَّةٍ إِلَى النَّفْسِ، وَهُوَ مَجَالُ خِصْبٍ لِلْمَعْرِفَةِ وَالتَّكْوِينِ وَالتَّذْوِيقِ الْجَمَالِيِّ وَالْإِبْدَاعِ، وَقَدْ يَكُونُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَلْحَانِ وَالْإِنْفَاعَاتِ وَالكَلِمَاتِ الْمُنَاسِبَةِ، تَخْتَلِفُ مَوَاضِعُهَا بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. وَهِيَ وَسِيلَةٌ لِلتَّبَعِيرِ يَلْتَجِي إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ لِيُعَبِّرَ بِهَا عَمَّا يُخَالِجُ نَفْسَهُ وَوُجْدَانَهُ مِنْ أَحَاسِيسٍ وَالتِّي تَشُدُّهُ، سِوَاءً أَكَانَتْ مُفْرِحَةً أَمْ مُحْزِنَةً.

وَالنَّشِيدُ أَيْضًا نَصٌّ لُغَوِيٌّ جَمِيلٌ فِي مَعْنَاهُ وَمَبْنَاهُ، يَكُونُ مَوْضُوعًا مُتَكَامِلًا هَادِفًا وَمَصْبُوعًا فِي قَالِبِ إِنْفَاعٍ شِعْرِيٍّ أَوْ نَثْرِيٍّ يَجْعَلُهُ قَابِلًا لِلتَّغْنِي وَالْإِنْشَادِ، بِالْحَانِ مُنَاسِبَةً تَلَائِمُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مِنْ نَوَاحِي الْإِنْفَاعِ وَالْأَنْغَامِ وَالتَّطَبَّاتِ الصَّوْتِيَّةِ.

وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا مَقْطُوعَاتٍ أَدْبِيَّةً تَتَكَوَّنُ مِنْ كَلِمَاتٍ سَلِيمَةٍ الْمَعْنَى وَالْمَبْنَى، مَقْرُونَةً بِالْحَانِ وَإِنْفَاعَاتٍ جَمِيلَةٍ مُنَاسِبَةٍ لِقُدْرَاتِ الْمُتَلَقِّي مِنْ نَوَاحِي الْمَقَامَاتِ وَالتَّغَمَّاتِ الْمَوْظَفَةِ فِي النَّشِيدِ الَّتِي تَخْتَلِفُ مَوَاضِعُهَا بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَتُعَبَّرُ وَجْدَانِيًّا عَنِ الْأَحَاسِيسِ عَبْرَ مُخْتَلَفِ الْمَوَاقِفِ وَالظُّرُوفِ. هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِهِ أُسْلُوبًا تَرْبُويًّا ذَا وَظَائِفٍ وَفَوَائِدَ كَثِيرَةٍ.

وَقَدْ جَاءَ لَفْظُ الْإِنْشَادِ مِنْ: نَشَدَ، يَنْشُدُ، نَشْدًا وَنَشْدَانًا، نَاشِدًا؛ بِمَعْنَى طَلَبٍ يَطْلُبُ فَهُوَ طَالِبٌ لِشَيْءٍ مَا. كَمَا أَنَّهُ مِنْ نَاحِيَةِ اللُّغَةِ هُوَ النَّدَاءُ، وَالتَّنَاشُدُ هُوَ التَّنَادِي. وَلَقَدْ قَامَ الْإِنْشَادُ عَلَى حَسَبِ ذَوْقِ تَقَالِيدِ الشُّعُوبِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَاعْتِقَادَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ. وَمَا يَزِيدُ لَفْظَ الْإِنْشَادِ تَرْكِيبَةً وَاحْتِرَامًا أَنَّهُ اِرْتَبَطَ فِي الْاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الْقَدِيمِ بِاللُّغَةِ، كَقَوْلِهِمْ: نَاشَدْتُكَ اللَّهُ، أَيْ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَاسْتَحْلَفْتُكَ بِهِ؛ فَفِي هَذِهِ الصِّيغَةِ يَأْتِي طَلَبُ الْاسْتِعْطَافِ لِلْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالتَّوَعُّدِ، حَتَّى قِيلَ نَاشَدَهُ بِمَعْنَى عَاهَدَهُ أَوْ وَعَدَهُ وَوَعَدَهُ بِهِ وَطَلَبَهُ مِنْهُ.

وَالْإِنْشَادُ هُوَ غِنَاءٌ قَصِيدَةٌ مَوْزُونَةٌ بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ، أَوْ مَجْمُوعَةٌ قَصَائِدَ مَبْنِيَّةٍ عَلَى مَنَهَجِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مُسْتَحْدَمَةٌ فِيهَا بِحُورٍ

الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْبَسِيطِ وَالتَّوَالِيهِ وَالْوَافِرِ وَالكَامِلِ وَالتَّرَجُّزِ وَالتَّهْزِجِ وَغَيْرِهَا مِنْ بُحُورِ الشُّعْرِ السِّتَّةِ عَشَرَ.

وَقَدْ عُدَّ الْإِنْشَادُ الدِّينِيُّ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ عَبْرَ مُخْتَلَفِ الْعُصُورِ الْأَدْبِيَّةِ وَاحِدًا مِنَ الْمَارَسَاتِ الرُّوحِيَّةِ، بِدَايَةِ مَنْ قَصِيدَةَ «طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا» الَّتِي اسْتَقْبَلُ بِهَا أَهْلُ يَثْرِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى وَقْتِنَا الْحَالِي.

وَتَوَكَّدَ كُتُبُ التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّ بِدَايَةَ الْإِنْشَادِ الدِّينِيِّ كَانَتْ عَلَى أَيْدِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَجْمُوعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ. وَكَانَتْ قَصَائِدُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ - شَاعِرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تُعَدُّ أُسَاسًا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُنْشِدِينَ.

وَفِي عَهْدِ الْأُمَوِيِّينَ أَصْبَحَ الْإِنْشَادُ فَنًّا لَهُ أُصُولُهُ وَصُورَاتُهُ وَقَوَائِمُهُ وَإِنْفَاعَاتُهُ الْخَاصَّةُ، وَاشْتَهَرَ أَيَّامَ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْشِدِينَ وَالمُهْتَمِّينَ بِفَنِّ الْإِنْشَادِ الدِّينِيِّ وَتَلَحُّنِ الْقَصَائِدِ الدِّينِيَّةِ، أَمَا فِي عَهْدِ الْفَاطِمِيِّينَ فَقَدْ تَطَوَّرَ

فَنُّ الْإِنْشَادِ الدِّينِيِّ؛ وَذَلِكَ لِاهْتِمَامِ الدَّوْلَةِ بِالْاِحْتِفَالَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

تَتَوَعَّتِ الْأَنْشَادُ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَقْتِ تَبَعًا لِلْمَكَانِ، وَطَبِيعَةِ الْبَلَدِ،

وَاخْتِلَافِ لَهْجَاتِهِ وَأَلْحَانِهِ وَإِنْفَاعَاتِهِ. وَفِي مَنطِقَةِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ اِزْدَادَتْ شِعْبِيَّةُ الْإِنْشَادِ الدِّينِيِّ فِي السَّنَوَاتِ الْعِشْرِينَ الْمَاضِيَّةِ، وَخَاصَّةً مَعَ انْتِشَارِ التَّكْنُولُوجِيَا السَّمْعِيَّةِ وَالتَّرْبُويَّةِ. وَلَكِنْ بِالرَّغْمِ مِنْ هَذَا حَافِظَ مُعْظَمِ الْمُنْشِدِينَ عَلَى الْأَسْلُوبِ التَّقْلِيدِيِّ الْبَسِيطِ وَالْقَائِمِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ تُصَاحِبُهَا الدَّفُوفُ وَالتَّطْبُولُ.

النَّشِيدُ.. نَصٌّ لُغَوِيٌّ

هَادِفٌ فِي قَالِبِ شِعْرِيٍّ أَوْ

نَثْرِيٍّ يَجْعَلُهُ قَابِلًا لِلتَّغْنِي